

لحظات مع الشيخ البوني . . .

العظيم ، فإذا به يطالعي ، وإذا به « الشيخ أحمد بن علي البوني — قدس روحه — المتوفى سنة ٦٢٢ هـ » . . . علي أنني كنت أول من لا يصدق الدجل والاحتيال ، بد أني آليت أن أدرس قليلا حتى أستوثق من صحة كل شيء دون أخذه علي علاقته من غير بحث أو نظر .

وأخذ الطرب يهزني كلما قرأت في الفهرس فائدة من تلك الفوائد التي يضمها الكتاب بين أرجائه ، وكنت أنتفض وأقف قليلاً عند أمثال هذه الكلمات : (فائدة لنيل جميع المقاصد — فائدة لمن يطلب ولاية ينالها — لمن أضر به العشق — لمن يريد أن يطلع علي أحوال الناس — فائدة إذا أردت أن يختفي ظلك وأنت واقف في الشمس — فائدة من عملها وأشار إلى الحامل ألفت ما في بطنها والمركب تنقلب والفارس ينقلب والسهم يرجع إلى صاحبه — فائدة إذا أردت أن تصير البحر برأ وعكسه — فائدة لخلاص المسجون يطير به الخادم ولو لم يكن للسجن باب — فائدة لعقد الألسنة — لفتح الأقفال — لإحضار الخادم يعلمك الكيمياء .)

ووقعت عيني علي (فائدة لقلب الماء دراهم أميرية وزيتا) فصحت فرحاً ، وأغلقت باب الغرفة ، وجلست لأقرأ كيف تحدث هذه الفائدة ، فوجدت الشيخ البوني يسهل الموضوع ويجعل حدوث هذه الفائدة مقتصرأ علي احضار « كوز نحاس » وملؤه ماء وكتابة بعض كلمات ذكرها عليه وذكر بعض آخر من الكلمات نطقاً . . .

ونفذ حينذاك إلي عقلي شعاع من شمس المعارف ، فوسوست إلي نفسي أن أحاول وأجرب ، ثم سرح خيالي ، فتخيلت نفسي حين أقلب الماء إلي دراهم ودنانير مائكاً علي عرش المال والثروة ، ثم تخيلت نفسي حين أقلب الماء إلي زيت « وزير تموين » ، بل سولت إلي نفسي أن أفتح بمفردي « وزارة تموين » لأنه — علي ما أذكر — لم يكن هناك وزارة تموين . . .

. . . حدث ذلك منذ زمن بعيد حين كنت أبحث في مكتبي .. ولحت بين الكتب كتاباً ضخماً ألهتني ضخامته عن لون ورقه الأصفر القديم ، فأخذته لهفأ لأطلع أي كنز زاخر من العلوم يحجمه بين دفتيه ، وفتحته ، وقرأت عنوانه فإذا هو « شمس المعارف الكبرى » . . . وملاً صدرى شعور دافق من البهجة والسرور ؛ إذ قد وقتت إلي لقاء كتاب يجمع « المعارف الكبرى » . . . وما أحوجنا إليها . . . ونسيت في غمرة البهجة أن تلك الحروف الصغيرة علي ذلك الورق الأصفر تؤذي العين أكثر مما تفيد الفكر ، ولكن حب الاطلاع دفعني بكل ما أملك من شعور إلي التفرغ لقراءة هذا الكتاب . . . وحدثت نفسي وأنا أفتحه أن لا بد أن أقرأ الفهرس حتى أقف علي ما أنا مزعج قراءته من موضوعات العلوم والمعارف الكبرى . وفتحت الفهرس بيد ترتجف ، فراعني أنني وجدت الكتاب مكوناً من أربعة أجزاء مما زاد في تشوقي إليه وتقديرى له . . . وفغرت فاهي في دهشة وأنا أقرأ في سطور الفهرس ، فلم تكن سوى قوائد وفصول فوائد لكل شيء يمكن أن يكون مقصداً في الحياة . . .

وما أعمت قراءة الفهرس — وكان ثمانى صفحات — حتى شعرت بشبه جنون من الفرح ، وأدركت أنني نلت كل مقصد في هذه الدنيا ، ثم شعرت أنني أقف وأتني أدور في غرفتي علي غير هدى ، وأن شيئاً ما في هذه الحياة صار لا يسترعى انتباهي ولا يستحق تفكيرى؛ لأنني صرت مالكاً لكل شيء قادراً علي كل شيء . . .

ودخلت إحداهن تكلمني فلا أسمع ولا أرد ، وتداءبني فلا أحس ، فدهشت وأحسب أن الرهبة قد استحوذت علي نفسها فتركتني . . . فسئلت : أليس موجوداً في الغرفة ؟ قالت : ليس موجوداً ، فقل لها : ومن بها إذن . . . ؟ قالت : اسحق نيوتن . . . لابل . . . ديوجنس الكابي . . . ورجعت إلي الكتاب ، ورأيت أن أقرأ اسم مؤلفه

فلماذا أتيت تبجهد نفسك في الصراخ والالقاء تحت أشعة الشمس المحرقة ، إنك تستطيع أن تجلس في بيتك وتصير مليونيراً بعملية قلب القروش إلى جنيهات . . وضاعت لباقة الرجل وخارت قواه ، وأراد أن يجمع الشغل من جديد ، ولكنه ألقي الناس قد انفضوا من حوله وانتشروا وهم يهزأون وكأما صحوا من غفوة . . وسرَّ أحدهم في أذني : لقد قطعت رزق الرجل . . قلت : لم أفعل . . إنه مليونير . . قال : ولكني أظن أن مهمته (خلع الأسنان و إعطاء البرشام) . . قات : لا عليك . . إن الشيخ البوني ذكر في كتابه أيضاً فائدة (لوجع الضرس) .

وكما تذكرت ما ذكر في كتاب الشيخ البوني كلما رثيت لهؤلاء المرشحين الذين يخوضون غمار الانتخابات ، فيصرفون الأموال وينشرون الاعلانات ويقيمون السراقات ويؤيدون الأحزاب ، وما من حاجة إلى كل ذلك ، فعليه فقط بكتاب (الشيخ البوني) وبخطباء (البرشام والأسنان) . وأخيراً أود أن أقول إن كتاب الشيخ البوني كتاب من الطرافة بمكان . . إنه حلم يقظة . . إنه مسرح خيال . . وإن طرافته تدعو إلى تسطير كثير من الملاحظات ، وأرجو أن تكون هذه الأخيرة . . في مقالات . . !

أحمد طه السنوسي

الكويت تفقد شاعراً

(بقية المنشور على صفحة ٣)

فعادت إلينا البرقيات باكيةً مؤبنةً الشاعر الذي دوى صوته في أنجاء العالم العربي ، ورددت صدى قصائده الأقطار ؛ الشاعر الذي أهمله أصحابه ؛ وأنكره قومه ، ونسأه أو تناساه بنو وطنه ، ولم يكتثروا لهذه الكارثة التي حلت بالشعر في الكويت .

فهل ياترى أنساهم بريق الذهب المادى أنعام القصيد الخالد ؟ أم أن ضجيج السيارات أصمهم عن سماع الأغاني الروحية العالية ؟ أم أنهم حسبوا قول الشاعر ، هو الحقيقة الواقعة ، فأمنوا بها وصدقوها : —

خُلِقَ الشاعر والبؤس معاً فهما خلافت لن يفترقا
رحمك الله رحمة واسعة أيها الفقيد ، وألهم ذويك الصبر والسلوان ، وعوض الشعر والوطن بفقدك خيراً .

عبد الله زكريا

وخرجت من غرفتي وأتيت (بالكوز النحاس) وبدأت أفعل ما ذكره الشيخ البوني بتدقيق تام . . ولكن مضت ساعات ولم أصل إلى النتيجة التي كان من المتظر أن أصل إليها ، فما زال الماء ماء ، وما حصلت على الزيت ولا على الدنانير . . . وانتفضت ورجعت إلى نفسي ، ثم ضحكت ثم قهقهت حتى كاد نفسي أن ينقطع ، وكنت في تلك اللحظة في حالة غريبة ، وكأني أحد كبار علماء التنجيم . . فقد تشعث شعري ، وانقلبت ياقة قميصي ، وتخللت شاربي قطرات العرق أشبه بماء الري تسقي أعواد القمح والشعير ، وبرقت عيناي حتى صارتا في اتساع عين البقر ، وجفت شفثاي وضاع منها البريق ، واحمرت أذناي كأني خارج من مدفأة صهرتني فيها زوجة عنود . . وكان كل من حولى يعتقد أن قد مسني طائف من الجنون ، حتى فزعت إليهم وقصصت عليهم نبأ الشيخ البوني العجيب ، فاقنعوا وعلموا أنني في كل ما صنعت لم أكن مخبولاً ولا مجنوناً . ثم أخذوا يضحكون . وتذكرت بذكر قلب الماء إلى دراهم ودنانير ما يفعله الدجالون في الأحياء الشعبية . . وكنت ذات مرة سائراً في أحد هذه الأحياء ، ورأيت مزدحماً من الناس ينصتون إلى خطيب بيده كوب به ماء . . فوقفت بدافع الفضول ، فسمعت الخطيب يقول : ترون حضراتكم أن يبدى الخبي كوباً به ماء ، وفي اليد اليسرى ورقة قيمتها عشرة قروش ، أليس كذلك ؟ قال الجمع : بلى . . قال : وسأضع الورقة في كوب الماء ، ثم هكذا أخرج المندبل من جيبي ليس به شيء ، ثم أغطى به الكوب ، فما عساكم تظنون ؟ قال الناس : لن يحدث شيء . قال : فإذا رفعت المندبل وأخرجت لكم العشرة القروش ورقةً من ذات الخمسة جنيهات . . ؟ ! فأخذت أصوات تقول : نريد أن نرى . وعجبت من هذا الخطيب المصقع ؛ فثمة صوت جهوري ، ونبرات قوية ، وألفاظ خلافة ، ولف ودوران مغر ، وأمثلة وبراهين ، وساب للعقول ، واجتذاب لأكثر فئة ممكنة من المارين في الطريق . . ثم راعني أنني رأيت الخطيب يتحول — وما زال الكوب مُسجى في يده — بلباقة نادرة إلى الحديث عن الأسنان وعن « البرشام » . وجمع ساكن زاهل قد أسكره الأسلوب البديع ، فصحت وقلت له : يارجل : لقد أنسينا الخمسة جنيهات . . قال بنفس اللباقة : كدت أن أنساه أنا أيضاً ، ولكني سأفعل بعد قليل . . قلت : لو كان في مقدورك أن تقلب العشرة القروش إلى خمسة جنيهات ،